

المشرق

شهداء لبنان

الشيخ فيليب والشيخ فريد قعدان الحازن

ليادة المران عبده الحوري النائب البطريركي الجزيل الشرف

ما أصلت الأتراك سيفاً نفتهم علينا إلا لإصدق وطنيتنا وشدة تمسكنا
بامتيازاتنا وفرط حننا وإخلاصنا للأمة الافرنسية حامية ذمارنا. وقد تقن أولئك
الغاشمون في ضروب الانتقام وأماتوا العدد العديد من مواطنينا الكرام شفاءً لليل
سخطهم وظناً منهم أنهم بتلك وسائل الإرهاب المقتوتة يخفون فينا شفاءً وطنيتنا
وعواطفنا وحننا لفرنسة. غير أنهم خابوا ظناً وأخطأوا حدساً لأن صوت شهدائنا
الاعزاء الذين لا ننسى أبداً الدهر تضحية دماهم الزكية في سبيل الوطن الحبوب لا
يبرح يطرق مسامنا فانهم وان ماتوا لا يزالون يتكلمون (عبر ١١ : ٩) ويدعوننا
الى اقتفاء آثارهم المجيدة والنسج على منوالهم بالاستبسال في المحافظة على المبادئ
الشريفة مبادئ الشجاعة والاستقامة والعدالة والحرية. وإن من هؤلاء شهداء الوطن
فئة قد امتازت بمجموع من الصفات الحميدة التراء تجعل أسفنا عليها شديداً وتحملنا
على نشر ما انطوى واستطوتته الأيام منها تحليداً لذكرها واقراءاً بجيها كالأنسوف
عليها كل الأسف الشيعين الشقيقين فيليب وفريد قعدان الحازن اللبنايين

نشأ هذان الشهيدان في قرية عرامون من اعمال كسروان ورضعاً مع الحليب
تقاليد العائلة الحازنية واعتبرا طول حياتهما إباء النفس والإخلاص لله وحب الوطن
وفرسة اشرف وأمجداً ما ورنائه عن الاجداد ولم يكن ذلك في اعينها بالشي القليل.
فحب الوطن وحب فرسة والتمسك بالدين والانتار باوامره والعمل بنواميسه تلك

كانت الصفات الشريفة والخلية البهية التي تحلّى بها شهيدانا العزيزان وقد كانت عمدة ممتدة مقترنة فيها الى درجة لم نشأ معها التفريق لا بينها ولا بينهما

ما كاد الشيخ فيليب يبلغ أشده حتى نشط للعمل بل للمكافحة والجهاد في سبيل ما كانت توحيه اليه روحه الوطنية فما كان يأتي الا تراك او من هذا حذوهم في بغض الوطن اللبناني مظلمة او اجحافاً في حق الأ ورفع صوته احتجاجاً دون ان يخشى بطش الحكومة وشرها . وقد قبضت عليه حكومة ذلك العهد ممتدة أنها تكلم فاه بالإرهاب فازداد جرأة وواصل الاحتجاج بلسان الصحافة المصرية على المظالم التي تحلّها لبنان في عهد متصرفية واصه باشا ولم يكن بعد اخوه فريد بلغ من السن ما يسح له بمشاظرته الجهاد في سبيل خير الوطن ومصالحه لكنه ما شب حتى نهب منهج اخيه دون ان يجيد عنه ذرة حتى كان يجتلي للناظر الى الاثنين وللمتقرب منهما ان روحاً واحدة تنفثها

من اكبر الآفات ومن اعظمها شراً على البلدان انما هو حب الوظائف الذي يقعد النفوس عن العمل الجدّي ويميل بها الى اثار المصلحة الشخصية على المصلحة العمومية . وكل يعلم ما كان من تفشي هذا الداء في تركيا ولبنان ولم كان من ورائه من اذلال النفوس وهضم الحقوق الى غير ذلك مما يُججلنا ذكره وتبينانه . على ان ما نخص به فقيدانا العزيزان من اباء النفس والشهامة وما امتازا به من الحب المخلص لوطنهما وقامهما من شر ذلك الداء الويل فعلمنا باعتقادهما الراسخ في ذهنيهما من ان الوطني الحقيقي هو من ترفع عن المصلحة الشخصية وعاش لوطنه لا لنفسه وأزديا بكل الوظائف التي كانت تعرضها عليهما الحكومة ليعينهما انها لم تكن تفعل الا لاكتسابهما بهذه الطريقة وحلها على الإغضاء عن مساوئها لتنتفع ويستفيد البلاد من خدمتهما . وجل ما تنبأه بهذا الشأن وكان مصدره المحبة الوطنية انما كان ان ينال احدهما الحماية الافرنسية فيعمل على مصلحة وطنه باوفر جرأة في أيام سار فيها الاستبداد والجور والظلم وخفت صوت الحق وكانت ارادة الحاكم هي الشريعة والقانون

وما نالا هذه الأمانة من تعطفات الحكومة الافرنسية الجليلة بتعيين احدهما فيليب ترجماناً فخرياً للقنصلية العامة في بيروت الأ سعي في تحقيق رغبة اخرى كانت

في اعينها بيجان يُذكر من الامة وهي تأسيس جريدة تمكنها من نشر مبادئها الشريفة وخدمة مواطنيها بالدفاع عن حقوقهم وما لبثت رغبتهما هذه ان تحققت وظهرت جريدة الارز فادت الخدمات الجلّية للدين والوطن وفرنسة نيتاً وعشرين سنة وقد قيل عنها انها كانت اقرب الجرائد العربية الى روح الصحافة

وقد ظل منشأها الفاضلان يدبجان مقالاتها الشائقة القراء بكل جرأة ونشاط الى ان سن المجلس النيابي التركي قانون الصحافة فاراد حاكم الجبل في ذلك العهد تنفيذه في لبنان وتقييد الصحافة به فهبّ الاخوان للمعارضة والاحتجاج على عمل رأيا فيه شديد المساس بامتيازات لبنان لكن فوزهما لم يكن بالامر السهل ايام عَضُد اوربا لفتيان الاتراك عضداً قد دفع بهؤلاء الى هاربة التمسب الذميم ضد كل العناصر غير التركية ولذا لم يُعَبَأَ باحتجاج شيخنا فاوقفت جريدتها

وكانت صدور الاتراك وصنائعهم لا تزال تلتبب حقداً على الشقيقين لانهما كانا قد قاما حاجزاً منيعاً دون تحقيق رغائبهم في ضمّ لبنان الى السلطنة العثمانية ضمّاً كاملاً يوم قامت تلك الفتنّة اللبنانية على اثر اعلان الدستور العثماني واخذت تلاح في وجوب انتخاب من يمثل لبنان في مجلس المبعوثان وكان الاتراك يرمون من وراء ذلك الى حرمان لبنان استقلاله ومنع الدول الاوربية بهذه الطريقة من المداخلة في شؤون هذه البلاد . فظنن الشقيقان للامر واشهرا في جريدتهما الارز الحرب الدوان على تلك الفكرة وقد أيداهما بمآلات ضافية تجلّت بها وطنيتهما الحقة ومقدرتهما الكتابية التطبيقية اذ بيّنا بالحجج الواضحة والادلة القاطعة ان لا سبيل الى تمثيل لبنان في المجلس النيابي التركي وهو على ما هو من استقلاله الذاتي الممنوح له بموجب دستور خاص موافق عليه من الدول العظمى . وقد قيض الله لها النجاح في الامر وحبطت مساعي الداهيين فيه غير مذهبها

ومما كان ينشط عزيمتها ويثبّتها في الحطة التي اختطتها لنفسها انما كان منع حثيها لوطنها تمسكها المتين العرى بحبّ فرنسة وتقائنها في سبيل مصلحة تلك الامة النبيلة التي كان من عنايتها بهذه البلاد وسكانها منذ القديم ما اكسبها حقوقاً مقدّسة فيها . وهذا ما دفعها الى تجنّب الشكّات وتكبد النفقات الطائلة في سبيل نشر الحُرّرات السياسية التي تبادلتها الدول بخصوص لبنان تمييزاً للفائدة وتبيناً لا لفرنسة من الفضل

والحنان على لبنان واهله . وعندنا ان نشر تلك الكتابات باللغة العربية كان من اهم الاسباب لحتى جمال باشا وسخطه على الشقيقين الحازنيين فدفعهما الى الموت شتقاً وقد زاد ذلك في علو منزلتهما في القلوب ورفعة شأنهما وتقدير فرنسا والبلاد تضحيتهما وهنا مجال لذكر حادثين تينان اجلى بيان الى آية درجة بلغ الشقيقان من الوطنية ومن حبهما لبلادهما وفرنسا . بلغهما ما كان في نفس دارولاد (P. Deroulède) الافرنسي الشهير من عواطف الوطنية السامية . ولما اتصل بها خبر الحكم عليه بالنفي نظم احدهما فيليب قصيدة عربية رفأنة طلب الى صديقه الأسوف عليه كل الاسف المطران بطرس شبلي ان ينقلها الى الشعر الافرنسي . فطبع الاصل مع الترجمة وركب البحر الى اسبانية وتوجه الى مدينة سان سابتيان حيث كان دارولاد وقدّم له قصيدته المعبّرة عما كان يكنه فواده من العواطف النبيلة الثريفة . فأجلّ دارولاد استقبال ضيفه الكريم واثنى على شعوره الشاء العاطر واهدى اليه مع رسبه مجموعة مؤلفاته . وقد شاهدنا رسم ذلك الوطني الافرنسي الصادق يعلو مكتب الوطني اللبناني الكبير

وحين استعرت نار الحرب منذ اعوام بين الدولة العثمانية وايطاليا وأمت دارعتان ايطاليتان مياه بيروت ودأمرت فيها النّسّاقتين العثمانيّتين انقره وعرن الله اسف الشيخ فيليب كل الاسف لان الضربة لم تكن من فرنسا لانه لم يكن في نظره يحقّ لغير فرنسا ان تأتي عملاً في هذه البلاد

وكان جمال باشا التّكلم ادرك دنو الاروان نفوز السياسة التي يسعى وراءها الشقيقان الحازنيان فأمر غير مبال بالغو الصادر بتاريخ ١١ ك ١ سنة ١٩١٣ ان تصير محاكمة الشيخين امسام ذلك الديوان العربي الذي اشهر اعضاؤه بنفهم وجنهم وقضحية شعورهم امام ارادة جمال السّناح فاصدر عليهما الحكم بالاعدام وبلئنهما اياه قبل تنفيذة بثلاثة ايام خلافاً لى عومل به سائر المحكوم عليهم . وقد تساءل الناس كثيراً ولا يزالون يتساءلون دون جدوى عن مستندات ذلك الحكم الجائر التي ظلت مكتومة رغماً عن ان جمال باشا نشر كتبياً بالعربية والافرنسية ذكر فيه اسما المحكوم عليهم بالاعدام مع الاسباب التي اوجبت الحكم . فكأنه خشي ملامة الرأي العام فلم يأت على ذكر شيخينا العزيزين ولا ذكر الاسباب التافهة التي دعت الى الانتقام منها

وما انتشر خبر اعدام الشقيقين في البلاد حتى توتت الكأبة جميع القلوب لما كان لها فيها من الحب والمكانة الرفيعة. وبلا كان يُعقد عليهما من الآمال الكبيرة. وقد بكاهما اللبنانيون دماً لانهما كانا اخيراً الجميع بمعرفة تاريخ البلاد واشدهم تمكناً بالوطنية يدلُّ على ذلك منشوراتها العديدة في تأييد حقوق البلاد. من ذلك ما كتبه احدهما فيليب باللغة الافرنسية حينما ارادت الحكومة العثمانية إحداث بعض شرائع وقوانين جديدة في لبنان فبينَ اجلي بيان ان لبنان مستقل منذ القدم بعديته واحكامه. وقصارى القول أنه ما من جهة هجم منها المهاجون الأصادفوا فيها الشقيقين في اول خط الدفاع معرضين صدرَّيها اللذب عن حقوق وطنها وعن حرية ومن تصفح مجموعة جريدتها يكاد لا يرى صفحة تخلو من مقالة او نبذة او على القليل كلمة للدفاع عن المبادئ الصحيحة

من الناس من تكون اعتقاداتهم ومبادئهم نظريةً بحتة فيعماون بكل الطرق على نشرها وتجيئها غير انك اذا نظرت الى حياتهم لا تراها مطابقة في شيء للمبادئ التي يكونون قد ملأوا بها اعمدة الصحف وبطون الكتب. ومنهم من اذا اتبع مبدأ من مبادئه عسر عليه العمل بالمبادئ الاخرى. فذلك لم يكن شأن فقيدنا العزيز فانها قد ظلَّ حياتها كلها عاملين بمبادئها الثريفة ولم يكن انهماكها في الشؤون الوطنية يُتعدهما عن الاهتمام بامر الدين وواجباتها نحو الخالق كما يعلم كل من عرفها فعلاً بتقليدات العائلة الخازنية المجيدة لم يفلاقط عن القيام بواجباتها الدينية. بل لم يكن كفا بما هو واجب عليها من باب الوصية فكانا يعملان ايضاً بما هو من باب المشورات الانجيلية كسماع القداس يومياً والمناولة المتواترة وغير ذلك بما كان دليلاً ساطعاً على رسوخ الدين فيها وخصوصاً في احدهما فريد الذي كان الدين يزيد في مناقبه الطبيعية بها وجمالاً يحمل من يدنومه على حبه جأ مشفوعاً بنوع من الاحترام. ولم يكن ليغرب عنه ان كثيرين لطيشهم وقعوا في جانب صفاتهم الطبيعية فأفرط في السهر على نفسه سهراً حفظ فضيلته من كل شائبة

وقد تجلَّت فضيلة هذين الشهمين بأبهى مظاهرها ابان الحرب العمومية ولاسيا في الايام الاخيرة من حياتها في سجن عاليه فما استمرت نيران الحرب حتى فقها ما كان يبطئه الاثراك من الشر لهذه البلاد وما عمت ماجريات الامور ان اظهرت صحة

تخوفها. فما لبث الجوع ان عضَّ بعض العائلات بنابه وكان يبيد ويريد اول من فكر في الاقتصاد بالعيشة يتمكننا من مساعدة بعض الموزين بما كان يتوفر لسيهما من هذا الاقتصاد. وكثيرون من القراء قد شاهدوا بأب العين ما كنا يوزعنا في تلك الآونة الضيقة على الفقراء اللاجئين الى جوفه. وما لبث ان حذا حذوها بعض اقاربها الحازنين الكرام فتناوبوا توزيع الطعام على الفقراء يوماً الى ان كان من طول مدة الحرب ما جعل الحازنين في ضيقة كثيرهم

علم الكل ما كان من دخول السلطان محمد رشاد وانتقال الحكم من يده في اول الحرب الى زمرة الثلاثة طلعت وأنور وجمال واقتسامهم المملكة العثمانية. وكان نصيب جمال منها سورية والبلاد العربية. ولدى وصوله توّسل بالإرهاب للبلوغ الى غايته واتخذ له اعراناً من تلك الفئة السافلة التي تعمرى أفرادها من الشهامة والشعور الوطني فاخذوا يبدسون الدسائس لاطنبيهم ويعملون على الايقاع بهم بالتقريرات الزورية التي كانوا يرفعونها الى جمال. فبدأ هذا بأن أبعد تراجمي قنصليات الدول المتحاربة في المدن السورية ولم يشفق على المريض والمسن منهم. وقد لقي بعضهم حتفه في منفاه كالرحومين حبيب دوناتو ترجمان قنصلية فرنسا في الشام وعزيز النيباني ترجمان قنصلاتو روسيا في بيروت وغيرها

على ان الشيخ فيليب لم يكن الأترجاناً فخرياً لقنصلية فرنسا في بيروت وكانت المرحومة والدته في مرضها الاخير ومع هذا احابه ما احاب غيره وتقرر إبعاده الى قيسارية غير انه عند بلوغه مدينة حلب صدر الامر ان يبقى فيها فظلل هنالك الى ان توفيت والدته فُرخص له بمجضور دفنها. ولكن ما ارادها رسمها حتى طلب مع شقيقه الى الديوان العرفي في عاليه. وقد حضر الشقيقان امام هيئة ذلك الديوان ومثلوا غير هيأين لدى اعضائه الذين يأبى القلم تطير ما اتوه من المظالم التي لا يحيط بها وصف والذين اقل ما يقال عنهم انهم ظلّوا خمس سنوات يلعبون بجياة نخبة رجال هذه الديار لعب الطفل بالأكر. وكانت سجون عاليه مملأى بأمثال قبيدنا من صادقي الوطنية. وما استنطق الشيخ فيليب واخوه حتى تمخّص لسيهما سوء نية القضا. وانها صائران الى ما كان قد صار اليه نخبة من رجال سورية ولبنان الذين كانوا موقوفين معها وسيق بعضهم الى الشام والبعض الآخر الى بيروت حيث تنفذ فيهم

حكم الاعدام كشتيق المؤيد والزهر اري ورفاقها الذين يذكّر السوربون طويلاً
برأيتهم وتقديهم حياتهم ضحيةً للوطن التاعس . فبدماء اولئك الابطال استنحت
البلاد ان تطهر من العنصر التركي ومفاسده .

ولا بد لنا هنا من ان نشي ثناء عاطراً على وطنية اخواننا المسلمين العرب الذين
رغمًا عن الروابط الدينية التي تربطهم بالاتراك لم يحدوا بمواعيدهم العرقية بل
استاءوا اشد الاستياء مما اتوه من المظالم وارتكبه من الجنايات القبيحة وشرعوا
يهتئون الاهتمام كله لمستقبل البلاد . والذي ساعد على ذلك كل المساعدة ومن حيث
لا يدري لنا هو جمال باشا . فسياسة الحرقاء وهمجية اسلوبه حفرت بين العرب
والاتراك هاوية عميقة فصلت بين المنصرين انفصلاً ليس بمده اتصال

قلنا ان شهيدنا علما من الجلسة الاولى سوية قضاتها ومذ ذاك الحين تدرعا
بالصبر الجليل وبفضل ما امتاز به من التدئين والوطنية وشهامة النفس اخذا ينتظران
الموت برباطة الجأش غير مكتئين الا للتأهب للمقاة الحاتق فلم يكونا يتناولان
من الاطعمة المرسله اليها الا ما يكفي لحفظ حياتها والباقى كان يجودان به على
الفقراء . وكان كتاب الاقتداء بالمسيح سيرهما في كل تلك المدة فلم يكونا يتقطعان
عن الصلاة الا الى التأمل والمهذيد بآياته السجديّة التي كان بعضها يوافق حالتها اشد
الموافقة فيشدد عزائهما اذ يبدد عنهما الكروب الزائلة ويُفرح قلبها بالخيور الابدية .
وقد شهد الكاهن الذي ساعدهما في ساعتها الاخيرة انها تأهب للموت تأهب الابرار
فاقتبلا الزاد الاخير بكل خشوع واخذا ينعشان في قلبيهما شواعر التوقان الى الوطن
السهوي . وعند ما اقتادهما الجند الى المحلّ المدّ لإعدامها اجتازا المسافة نالين طلبه
الغذراء عليها السلام . ولما بوشر بتلاوة الحكم عليهما لاح لاحدهما ان اخاه يتم
ليتهم شيئاً من النصّ التركي علّمه يعرف السبب في إعدامها فقال له اخوه : « لنرفع
قلوبنا وعقولنا الى العلاء يا اخي ولنندع الناس يقرؤن ويحكسون كما يشارون » . ثم ما
لبث ان قضي الامر وطارت روحها الى الحاتق فاصيب لبنان بحجارة اثنين من
أخلص واعزّ بنيه وقعدت فرسة بها شهين كانت قد اختبرت اخلاصها وامانتها
وتناولت الحجارة فيها الدين ايضاً لانها كانا من لشد انصاره يحيانه الى الناس
باقوالها ولاسيما بثلمها

قلنا وتأييداً لما تقدمت هنا بعض فقرات من وصيتها الاخيرة
 فيليب وفريد الحازن وهما على اهبة ركوب السفر الطويل الى امام الدين
 الرهيب يالآن سيادة المطران عبدالله خوري النائب البطريركي صلواته المقبولة لديه
 جل شأنه ليرحم نفسهما الفقيرتين بالاعمال الصالحة فيكون له الفضل دنيا واخرى . ثم
 يرجوان ان يحيط الفلام (وهو كلويس ولد احدهما فيليب) وعائلتيهما بذات العناية
 والالتفات اللذين متمنا بهما ويسهر على تربيته وتلقينه الآداب والعلوم الصحيحة عملاً
 بالمبادئ الدينية موجياً على والدته ان تسهر بعين لا تنام على ابعاده عن العشرة الرديئة
 الفسدة للاخلاق لان التربية الاولى هي الاساس المتين الذي يبني عليه . مستقبلاً ديناً
 ودنياً . على انه اذا كانت دعوته للكهنوت فعلى سيادته تشكّل باقتناع والدته بعدم
 معارضته . (ثم يالآن المساعدة على ايفاء الديون ابراء لدمتها) وقصاري
 القول زجوان يعمل ما هو موافقاً لبرائة ذمتنا ومصصلحة الفلام وراحة بال قرينتنا
 المنكودتي الحظ ونسأل الله ان يكافيه عن اعماله هذه اضفاف حبات الرمال
 وقبل الختام نسأل سيادة عبدالله مغفرة على ما حملناه من الانتقال بنا وبعائلتنا
 بعد براحنا هذه الدنيا ونشكر له كلاً ابداه وشقيقه معنا من المروءة النادرة والمساعدة
 والحب والاهتمام بنا والفعل ونسأله ان يظلل الفلام بعنايت ويشلنا وغبطه وساير
 الاساقفة والكهنة اصدقارنا بالصوات . عن سجن عاليه في ٤ حزيران سنة ١٩١٦ بعد
 ظهر الاحد ولدك ولدك والدك

فيليب قعدان
 الحازن

فريد قعدان
 الحازن

اوصيك بعائلتنا وان كان لا لزوم لهذه الوصية فريد

المحاور الدينية

التي جرت بين الخليفة المهدي وطيمانوس الجاثليق (تمة)
 فلكننا المظفر قال لي : لماذا انتم تسجدون للصليب ؟
 فجاوبته قائلاً : اننا نسجد للصليب لأنه علة الحياة